



Source : AN-NAHAR
Date : 30-12-93
Photo No. : 124

... بعد سنة السلام

عام السلام؟
لا جدال، على ما نعتقد، حول اعتبار العام المنصرم "عام السلام"، مهما يكن تقويمنا لهذا السلام.
أن يدور الجدل حول مفهوم السلام الذي أقر بين اوسلو وواشنطن، فهذا امر لا بد منه. وان يتقص البعض من اهميته لانه لم يشمل مختلف الأطراف العربية، فهذا امر محتمل. وان يشكك بعض آخر في حتمية تنفيذ هذا السلام، بعد ان مضت السنة او كادت من دون ان يترجم اعلان المبادئ بين اسرائيل ومنظمة التحرير الى اتفاق وبرمجة دقيقة، فهذا أيضاً مباح. ولكن قبل كل ذلك هناك الحدث الذي لا يمكن التمرب من اعتباره على الاقل حدث السنة، وهو الحدث الذي حصل في آب وايلول الماضيين.
انه حدث السنة ليس فقط للعرب والاسرائيليين، بل ربما للعرب ايضاً، بدليل ما شهدناه من ردود فعل منذ ايلول، وصولاً الى اختيار مجلة "تايم" الأميركية ياسر عرفات واسحق رابين، الى جانب نلسون مانديلا وفريدريك دي كلير كرجال السنة. ولعل هذا الاهتمام الغربي من العوامل الاكثر دفعاً لحتمية الوصول الى اتفاق متكامل.

نقول حدث السنة ولا نذهب أبعد من ذلك على غرار المعلّقين الغربيين الذين اعتبروا اتفاق اوسلو حدث النصف قرن. فبالنسبة الى العرب، ليس هذا الاتفاق الا اقراراً بأحداث اكبر منه توالت علينا خلال هذا النصف قرن، وتعني هزائمنا المتكررة. ثمة صعوبة نفسية، لا ريب، في اعتبار هذا السلام الذي لا يرضي حتى موقعيه، حدثاً تاريخياً كبيراً. ومع ذلك، يجب ان نعتاد، او نحاول ان نعتاد، على هذه الفكرة. فعلى رغم نواقص الاتفاق المبدئي الاسرائيلي - الفلسطيني، وهي عديدة، علينا ان نعرف ان حياتنا السياسية، وربما الاجتماعية ستتأثر شتاً ام اينا، بما حصل سواء كنا في لبنان او في الاردن او في سوريا، وحتى في المغرب والخليج. بالطبع، ستتضح هذه الفكرة اكثر فأكثر بعد دخول سوريا المحتم في التسوية، وسيتبين اننا، عندما ندخل سنة ١٩٩٤، فانما ندخل السنة الاولى بعد السلام وهذا ما لم نحضّر انفسنا اليه من قبل.



في تاريخ الفلسفة والفكر، ثمة مفهوم يسمى "الثورة الكوبرنيكية" ويقصد به، قياساً لما حدث للعقل الانساني بعدما اكتشف كوبرنيك حقيقة دوران الارض حول الشمس، لحظات القطع المعرفي الكبيرة. و"الثورة الكوبرنيكية" هي تلك الظاهرة التي نعيشها الآن، من دون ان نعي ذلك. ولا يهم، هنا، ان بقينا مقتنعين اننا لم نكن على خطأ، فالنتيجة واحدة، مؤداها اننا نجد انفسنا اليوم مضطرين للتعامل بمفاهيم جديدة، وحتى بعادات جديدة.

وأهم هذه المفاهيم هو قطعاً ذلك الذي سنستنبطه يوم نعرف طريقة المزاجية بين اقرارنا بالهزيمة والرهان الطويل الأمد على النهوض سياسياً وحضارياً في وجه عدو يفوقنا عسكرياً عشرات المرات (حتى لا نتحدث عن الفارق النوعي، اي النووي، بيننا). في المقابل، يجب الاعتراف منذ الآن اننا سنشهد في السنة الجديدة والسنوات التي ستليها، ظواهر لطالما اعتبرناها مستبعدة: سفارات اسرائيلية في العواصم العربية، سياح اسرائيليون في شوارع عمان وسوق الحميدية، وربما "تعاون" مؤسسي بين هيئات اسرائيلية وأخرى عربية. لا نسوق هذه الأمثلة غير المستحبة لتبرير التطبيع مسبقاً. فالتطبيع لن يكون في حاجة الى تبرير عندما يحصل. المهم، وربما الأهم، هو ان نعي حتميته لتحضير انفسنا، على مستوى كل بلد عربي وعلى مستوى عربي عام، من اجل الا نذهب ضحيته، ومن اجل ان نبقي في يدنا الورقة التي ستسمح لنا بصوغ الرهان الجديد المطروح علينا: استمرار الصراع بوسائل اخرى.

سمير قصير